

القرآن الكريم والأدب العراقي القديم "قصة الطوفان بين الكتابات المسمارية والآيات القرآنية"

أ.م.د. قصي منصور عبد الكريم التركي

و أ.م.د. نزار خورشيد مامه

كلية العلوم والتربية الاساسية بمقرة – جامعة دهوك / العراق

مقدمة :

من المعروف أن ارض الرافدين قد شهدت اول التجمعات البشرية التي كونت اولى المجتمعات المتمدنة ، كما واكبت اهم احداث التاريخ على مرّ العصور ، حيث تشير الادلة الكتابية المسمارية المتوفرة حالياً ، وبخاصة تلك المتعلقة بالقصص وما تضمنته من أخبار ، ان الطوفان على سبيل المثال قد حل على ارض الرافدين ، إذ وردت القصة مدونه باللغة السومرية والاكديية ، باعتبارها أقدم قصة عن الطوفان معروفة في العالم حتى الان .
إن القصة المذكورة وغيرها من القصص التي وردت في النصوص المسمارية كنصوص أدبية ، كانت قد دونت بعد الاف السنين من وقت حدوثها ومن المرجح انه قد حذف منها وضيف اليها الشيء الكثير بما ينسجم وافكار القوم ، وبقيت هنالك خطوط رئيسية ، في اغلبها منسجمة بشكل او بآخر مع ماورد في القرآن الكريم .
لذا فان هذه الدراسة تهتم بموضوع يأتي في سياق البحث والتقصي عن قصة الطوفان كنص أدبي في التراث العراقي القديم وما يتلائم من خلال نصوصها مع النص القرآني الكريم .

الهدف من البحث :

لقد كان موضوع القصص كأحد مواضيع الأدب الرافديني القديم مثار اهتمام الباحثين والمختصين من العارفين في قراءة وترجمة النصوص المسمارية ، وكانت النتائج التي نشرت حول الموضوع مثار دهشة واعجاب بما حوته تلك النصوص من احداث مثيرة ، وجد مثيل لها او جزء من محتواها ومدلولها العام في النص القرآني الكريم ، ومن بين اهم مواضيع القصص تلك ، القصص المتعلقة بالطوفان الذي كان على يد سيدنا نوح (عليه السلام) ، لذا فان هدف الدراسة ، بيان طبيعة النص الأدبي القصصي الذي ورد في الكتابات المسمارية وانتشاره خارج حدود ارض بلاد الرافدين ومدلول نص قصة الطوفان الواردة في النص القرآني .

وما تجدر الإشارة اليه بهذا الصدد أن ما كتب حول مواضيع اغلب القصص كان المنوال الذي درج عليه الكتاب فيما بعد لكتابة العناصر الاساسية للقصة ، بحيث زودتنا اسطر هذه القصص بمعلومات وافيه عن طبيعة الحياة، كما أمدتنا بمعلومات قيّمة عن معتقدات سكان العراق القديم حول موضوع من هذا النوع ورد في أدب بلاد الرافدين بالخط المسماري ووجد نظير لها في القصص الواردة في القرآن الكريم.

الاشكالية:

لقد اشير الى سيدنا نوح (عليه السلام) وحادث الطوفان في القرآن الكريم في اكثر من اربعين موضعا، ومن المعروف ان القرآن الكريم لايعطينا عن الطوفان رواية متصلة تقع في سطور وصفحات متتالية من بداية القصة حتى نهايتها، بل تتناثر الاخبار بشأن الطوفان في سور متعددة.

وعرف عن أدب بلاد الرافدين المكتوب بالخط المسماري ثلاث قصص مدونه عن الطوفان، ومن خلال هذا التدوين انتشر خبر هذه القصة خارج حدود بلاد الرافدين والحضارات المجاورة لها، وفي ضوء ذلك سوف نحاول دراستنا هذه الاجابة على التساؤل التالي:

هل لقصة الطوفان الواردة في النص القرآني الكريم مدلول يحاكي من حيث الاحداث والشخوص والعبر والعضات اهداف القصة اذا ما قورنت بقصص الطوفان في الأدب العراق القديم؟.

عناصر البحث: سيتم تناول الدراسة من خلال ثلاثة مباحث وعنصرين لكل مبحث وحسب الآتي:

المبحث الاول - عالمية أدب العراق القديم وانتشار قصص الكتابات المسمارية

✓ مقدمة في الأدب العراقي القديم

✓ انشار أدب بلاد الرافدين الى الآداب العلمية

المبحث الثاني - مدلول القصة في الايات القرآنية والكتابات المسمارية

✓ مدلول القصة في أدب بلاد الرافدين

✓ مدلول القصة في الكتابات المسمارية

المبحث الثالث - قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين والقرآن الكريم

✓ قصص الطوفان في أدب بلاد الرافدين القديم

✓ قصة الطوفان في القرآن الكريم.

المبحث الأول - عالمية أدب بلاد الرافدين وانتشار قصص الكتابات المسمارية؛

من المعروف أن الخط المسماري استعمل في بلاد الرافدين لتدوين لغتين رئيسيتين هما اللغة السومرية ثم اللغة الأكادية (وفروعها البابلية والآشورية).⁽¹⁾ كما دونت العديد من اللغات بالكتابة المسمارية ومنها الحورية والعيلامية والحثية والاورارتية ثم الاوغاريتية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكتبت اللغة الفارسية القديمة في القرن 6-4 قبل الميلاد بالخط المسماري ايضا.⁽²⁾

ان انتشار الخط المسماري وأدب بلاد الرافدين خارج حدود العراق، أثر في نقل الثقافة والآداب السومرية والأكادية والبابلية، وانتشار الخط واستعماله من قبل شعوب عديدة في المنطقة يعتبر اعظم اسهام حضاري قدمه بلاد الرافدين للبشرية، لانه علم الناس من خلاله كيف يكتبون الكلمة ويسجلون التاريخ، يضاف إلى ذلك ان انتشار الخط المسماري وأدب بلاد الرافدين اوجد رباطا وثيقا كانت له نتائج مهمة في انتقال كثير من المفاهيم والمعتقدات الدينية والنتائج الأدبية والعلمية.

اولا- عالمية أدب بلاد الرافدين؛

تميز أدب بلاد الرافدين قبل كل شيء باصالته وبكونه أدبا واقعيا صور بصدق نمط الحياة التي كان يعيشها سكان بلاد وادي الرافدين في تلك العصور القديمة، لذلك جاءت الصور والتشابه في الاعمال الأدبية ومنها القصص، منتزعة من واقع الحياة، في المدينة والريف وفي الهور والسهل والجبل، وجدير بالملاحظة ان أدب وادي الرافدين حافظ على اصالته ولم يتعرض الى تغيير او تحوير.⁽³⁾

ومن المرجح ان تناقل الاخبار والقصص في مجتمع بلاد الرافدين كان يتم شفاهيا قبل اختراع الكتابة بشكل كامل، ثم رغم الاكتشاف المهم ظل قسم كبير من أدب بلاد الرافدين وقصصهم تروى شفاهيا، ولا تزال بعض تلك القصص والروايات وبطولات الاجداد تروى شفاهيا حتى يومنا هذا، ثم انتقلت كثير من القصص التي تغني بها الناس من جيل الى جيل، فكانت الكتابة وكان استخدامها لتدوين تلك القصص وذلك منذ الالف الثالث قبل الميلاد، وقد عرف نساخ الكتابات. واهمهم نساخ القصص والملاحم البطولية. بالامانة والحرص على الاستنساخ من المصادر الاصلية القديمة بعد مطابقتها وتدقيقها⁽⁴⁾، فقد اقتبس البابليون كثيرا من المصطلحات والمفردات اللغوية التي عرفتها اللغة السومرية، واخذوا منها فيما يخص الأدب الهيكل العام للقصة، بيد انهم اضافوا لذلك الهيكل "لحما ودماء" على حد تعبير الاستاذ فاضل عبدالواحد علي، فظهر نتيجة لهذه الاضافة، خلق أدب جديد في شكله القديم ذي الأصول العريقة⁽⁵⁾.

لقد اظهرت الدراسات الحديثة ان الكثير من التأليف الأدبية لاسيما القصص والملاحم قد انتقلت الى الاقطار المجاورة وبعض البلدان البعيدة كالحضارات في آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وبلاد اليونان، اضافة الى اصقاع بعيدة في مناطق حضارات جنوب افريقيا ومناطق نهر "مومبا"،⁽⁶⁾ مما ترك اوجه شبه واضحة بين قصص بلاد الرافدين والقصص

التي دونت بلسان تلك الاقوام، وذلك بحكم وقوع اغلب الممالك السياسية القديمة تحت سلطة السلالات والامبراطوريات التي قامت في بلاد الرافدين من سومرية واكدية واشورية، ثم وفي وقت لاحق تأثرت مجتمعات وامبراطوريات اجنبية بالتراث العراقي بعد وقوع بلاد الرافدين تحت السيطرة الاجنبية، لاسيما الأدب وخصوصا القصص والملاحم البطولية عندما احتكت تلك الاقوام بمجتمع بلاد الرافدين في وقت السلم والحرب، ومن بين تلك الاقوام الاجنبية الخورية والحثية والفارسية واليونانية، والتي ترجمة بعض من قصص بلاد الرافدين الى لغاتها المحلية.⁽⁷⁾ وهذا ما سنعرض له في العنصر ثانيا من هذا البحث لمعرفة طبيعة التدوين والاستنساخ لمجموعة من القصص والملاحم الرافدينية وانتشارها الى ممالك وامم وشعوب مختلفة تأثرت بأدب بلاد الرافدين.

ثانيا - انتشار الخط المسماري:

لقد اثبتت التنقيبات الاثرية ان الخط المسماري انتشر في منطقة واسعة جدا من الشرق الادنى القديم تمتد من ايران شرقا الى البحر المتوسط غربا ومن بلدان الخليج العربي جنوبا الى الأناضول شمالا،⁽⁸⁾ وقد وصل الخط المسماري الى ابعد من ذلك حيث جزيرة كريت (Crete) في بلاد اليونان القديمة،⁽⁹⁾ كما اكتشفت كتابة تكريسية تعود للملك "نرام سين" (2291 - 2255 ق.م) في جزيرة كيتيرا بين كريت واليونان،⁽¹⁰⁾ وهناك أدلة على علاقة جزيرة كريت ببلاد وادي الرافدين، فقد عثر على انواع من الفخار الرافديني في منطقة البحر الايجي وكريت منذ الالف الرابع ق.م، وتحديدًا من موقع "بلاتانوس"، ومن فترات لاحقة من جزيرة كريت وصلنا ختم اسطواني يعود لعصر الملك "حمورابي" (1792 - 1750 ق.م).⁽¹¹⁾

وفي بعض الحالات كُيف الخط المسماري الى اللغة السائدة بعد تغيرات مهمة، وفي اخرى كانت تغيرات قليلة ضرورية فقط، في حين اخذت شعوب اخرى الخط المسماري مع اللغة الاكدية.⁽¹²⁾

وبعد قرنين تقريبا من ظهور الكتابة في بلاد سومر جنوب الرافدين، ظهر في مدينة سوسه (Susa)⁽¹³⁾، ما يعرف بين المختصين بالخط العيلامي القديم، الذي يعاصر في تاريخه دور جمدة نصر (Jamdat-Nasr)⁽¹⁴⁾ (3100 - 2900 ق.م) في العراق، فقد عثر على مئات من الرقعة المدونة بهذا الخط والتي على ما يبدو انها ذات طبيعة اقتصادية، ويرجح الباحثون ان الخط العيلامي القديم هذا انما ظهر بتأثير مباشر من وادي الرافدين، ومما يرجح صحة هذا الرأي ان بلاد عيلام كانت دائما تحت تأثير الزخم الحضاري لبلاد الرافدين.

كما وصل الخط المسماري الى بلاد الشام في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد حيث كشفت التنقيبات في مدينة "إيبلا"⁽¹⁵⁾ (تل مردوخ) (Tell Mardikh) في سوريا، عن حوالي 15 ألف رقيم مدونة بالخط المسماري ويرجع تاريخها الى عصر فجر السلالات الثالث اي بحدود (2450 ق.م)، وتتضمن وثائق اقتصادية وادارية ومعاجم لغوية، اما لغة هذه النصوص فهي "الأبيلية" كما يسميها بعض المختصين وهي من اللغات الجزرية الشمالية الغربية، وفي عام 1929م كشفت التنقيبات في "اوغاريت" (Ugarit) (رأس شمرة)⁽¹⁶⁾، الواقعة على ساحل البحر المتوسط في شمالي سوريا عن اول مجموعة من رقم الطين المدونة بالخط المسماري، والمهم ان بعضها مدون بالخط المسماري المعروف في بلاد

وادي الرافدين، لكن الاغلبية منها مكتوب بخط مسماري جديد ولغة لم تكن معروفة من قبل.⁽¹⁷⁾ وفي مدينة ماري (Mari)⁽¹⁸⁾، كشفت التنقيبات عن سجلات في القصر الملكي الذي يضم أكثر من عشرين ألف رقيم مدونة بالخط المسماري. ثم انتقل الخط المسماري الى ابعد من بلاد الشام، حيث عثر في العاصمة الحثية "بوغازكوي" (Bogazkoy)⁽¹⁹⁾ في آسيا الصغرى على عدة آلاف من رقيم الطين مدونة بالخط المسماري واللغة الحثية والبابلية، واستعمل الخط المسماري ايضا من قبل الخوريين في شمال سوريا ووادي الرافدين، وكان الاورارتيون في ارمينيا اخر الاقوام التي استعارت الخط المسماري من وادي الرافدين لكتابة لغتهم وذلك في النصف الاول من الألف الأول قبل الميلاد.

وفي سلطان تبه⁽²⁰⁾، احد تلول مدينة "حران" في اعالي نهر البليخ عثر على رقيمين من القصة البابلية الساخرة المشهورة "فقير نفر".⁽²¹⁾

اما في مصر فان من بين ما اكتشف من نصوص مسمارية في تل عمارنة (Tell el-Amarna) عاصمة الملك امينوفس الرابع "خناتون" نسخة من القصة الاسطورية البابلية المعروفة بقصة "آدابا". كما عثر في تل العمارنة على كسرتين من لوحين دون عليهما الاسطورة البابلية الموسومة "نركال وايرشكيجال" التي تروي قصة عن ملكة عالم الاموات وكيف انها اصبحت في نهاية الامر زوجة للاله العنيد "نرجال".⁽²²⁾ ومن ملحمة "جلجامش" التي يصح ان نسميها "اوديسة" بلاد الرافدين، واقدام النماذج الأدبية العالمية، وقبل "اللياذة والاوديسة" في الأدب اليوناني.⁽²³⁾ فقد عثر في العاصمة الحثية "حتوش" (بوغازكوي) على بعض اجزاء من الملحمة تعود الى اللوح الخامس،⁽²⁴⁾ كما وجدت اجزاء منها مترجمة الى الحثية واخرى الى الخورية، وعثر على نصوص من هذه الملحمة في موقع "سلطان تبه" في تركيا حالا، وعلى كسرة من رقيم تعود الى الملحمة في "مجدو" في فلسطين.⁽²⁵⁾

ان هذا الانتشار الواسع للملحمة يبين بوضوح الاهمية التي نالتها هذه الملحمة باعتبارها واحدة من الاعمال الأدبية الخالدة واشهر ما انجزه الفكر الانساني في العصور القديمة ومعروف ان الملحمة استمدت شهرتها من كونها تعالج موضوعا انسانيا محضا وهو الموت وتشبث الانسان بالخلود.⁽²⁶⁾ كما انتقل اسم البطل جلجامش الى معظم الاداب القديمة، كما ان اعماله نسبت الى ابطال الامم الاخرى مثل "هرقل" و"آخيل" و"الاسكندر ذي القرنين" والبطل "اوديسيوس" في الاوديسة. كما استقى الاديب اليوناني الشهير "هوميروس" الكثير من حوادث ملحمة كلكامش وشخصيته ومخزى ملحمة واسقطها على ابطال ملحمة الياذة الشهيرة.⁽²⁷⁾ حيث يضاهاى صاحب اخيل المسمى "بتروكلوس" "انكيبدو" صاحب جلجامش، وام "اخيل" الالهة "تيتس" تضاهاى الالهة البابلية "نسون" ام جلجامش.⁽²⁸⁾ ونشير أخيرا في معرض هذه المقارنات العابرة الى اسطورة نشدان الاسكندر للخلود في نبع ماء كائن في بحر الظلمات، مما يضاهاى ما جاء في الملحمة في بحث جلجامش عن نبات الخلود.⁽²⁹⁾

وفي بلاد اليونان نجد تأثيرا رافدينيا واضح البصمات للاسطورة السومرية الموسومة نزول "انانا الى العالم الاسفل" فمن المعروف ان الالهة انانا كانت تجسيدا لمظاهر الخصب في الطبيعة وان "دموزي" كان يرمز الى القوة الخلاقة التي تبعث الحياة في تلك المظاهر، وان موت دموزي في موسم الربيع وتناوبه مع اخته كل ستة اشهر له ما يناظره في

الاسطورة الاغريقية الخاصة بالاله "ادونيس" حيث عرفت عادة البكاء على ادونيس بين النسوة كما كانت تقام الافراح بمناسبة عودته الى الحياة في موسم الربيع متجسدا في شقائق النعمان.⁽³⁰⁾

وفي ضوء ما سبق من اشارات مختصرة ، يتضح لنا مدى اصالة وانتشار أدب بلاد الرافدين الى امم وشعوب العالم ، لاسيما احدهم ضروب الأدب وهو القصة.

المبحث الثاني - مدلول القصة في القرآن الكريم والكتابات المسمارية :

القصة في الاصطلاح تتوسط بين الأقصوصة والرواية ، وفيها تعالج جوانب أرحب مما يعالج في الأولى ، لذا يطول الزمن ، وتمتد الحوادث ، ويتوالى تطورها في شيء من التشابك.⁽³¹⁾

ان المفهوم العام للقصة كمصطلح أدبي لا يتعدى كونه حكاية أدبية تعود لسابق عهد راويها ، تحوي فكرة وحدث محدد بموضوع معين ، يشترط فيه ان يكون له بدء ، اي (مقدمة) ووسط (السرد القصصي) ونهاية (خاتمة).⁽³²⁾

واذا نظرنا الى موضوع القصص التي كتب بها العراقييون القدماء نوصفهم فاننا نجدنا لا تحيد عن هذه المعاني الاصطلاحية وشروطها ، بل نجد ان الكاتب يركز في عرض القصة على عنصر الحادثة ، فيعنى بسرد المواقف ويذكر جميع تفاصيل الحدث من دون ان يترك للقاري شيئا يمكن ان يستنتجه من احداث القصة ، وهذا الامر يجعل القارئ او المستمع ينشد وراء القصة حتى نهايتها ، والاضافة التي من الممكن ان نجدها في مدلول القصة كمصطلح عام ان بطل القصة هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله الاحداث فيرسم شخصيته بدقة متناهية.⁽³³⁾ وهذا ما سنلمسه من قصة الطوفان في الكتابات المسمارية في ابراز شخصية فيها وهو "اوتونابشتيم" (نوح الطوفان) وغيرها من قصص أدب بلاد الرافدين.

أما القصة في القرآن الكريم فنجدها "فن قولني درامي يسعى الى خلق عالم ابداعي مواز في علاقاته للعالم الواقعي الذي يعيشه القصاص ، من خلال تجارب الفكر ، او تجارب العاطفة او تجارب الخيال".⁽³⁴⁾

وعلى هذا الأساس تكون القصة هي التعبير عن الحياة ، بكل تفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن ، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية ، مع فارق واحد ، هو أن القصة اختبار لحادثة أو عدة حوادث ، تبدأ وتنتهي في زمن محدود ، وتصور غاية معينة ، تم سياقة جزئياتها سياقاً معيناً ليؤدي بالنتيجة إلى تصوير هذه الغاية.⁽³⁵⁾ وللتعرف على مدلول القصة لابد من التفصيل بين القصة في القرآن الكريم والقصة في الكتابات المسمارية.

اولا - مدلول القصة في القرآن الكريم :

القصة في القرآن الكريم لها طبيعتها الخاصة وبنائها المميز الذي يفرقها عن غيرها من القصص البشرية ، وانطلاقاً من أن القرآن الكريم هو في المقام الأول كتاب دعوة دينية ، اخرج الناس من الظلمات إلى النور ، إضافة إلى كونه كتاب عقيدة وشريعة ، ودستور كامل متكامل للحياة البشرية في مختلف جوانبها الروحية والمادية. ومن ثم فإن القصة في

القرآن وسيلة من الوسائل التي أرساها الباري عز وجل لإبراز الغرض الديني العام من تشريع وتوحيد وعقيدة وصياغة الانسان صياغة دينية سامية تسعى الى بنائه بناء متكاملًا يتناسق والمعتقد الديني.⁽³⁶⁾

ولم يكن القصص سردا مجردا لبعض الروايات القديمة يتسلى بها السامعون، ثم يغفلون عن حكايتها او يتعطلون، بل ان القصص كان تأريخا لسيرة الدعوة الدينية، التي خطت مجرياتها بين الناس منذ فجر الخليقة، فالقرآن كتاب الدعوة وتاريخها، ففي ثنايا السرد التاريخي لآخبار الاولين يزداد عرض الدعوة وضوحا ويستبين منهجها، واننا لنجد في قص القرآن الكريم من وصايا الانبياء ونصائحهم وارشادهم لأمرهم، كلاما منسقا، وهديا منسجما، صدر من مشكاة واحدة، وانساق إلى هدف واحد يمهّد أوله لآخره وتصدق نهاياته بداياته،⁽³⁷⁾ ولعل من المفيد ان نذكر ان أول أهداف القصة القرآنية وأغراضها تستمد من الظروف التي أوجت بهذه القصص.⁽³⁸⁾

وتجدر الإشارة الى ان القصة القرآنية ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، وإنما هي وسيلة للإرشاد والإيمان والعظة وشرح الأوامر والنواهي الشرعية، ونشر فكر الحق والخير والتعاون بين الناس.

لقد كانت القصة إحدى وسائل القرآن للوصول إلى غايته، وإذا نظرنا الى موضوعات القصص القرآني لوجدناها تتحدث عن أحوال الكفار والفجار وسائر ضروب الفسق والحسد وقطع الرحم والعقوق والكذب والاحتتيال ونقض العهود وخلف الوعود، إلى غير ذلك بما فيه ذكر معاصي الله، والصد عن سبيله، والشبهات والشهوات والترغيب والترهيب وبيان سوء العافية وقبح السمعة في الدنيا والعذاب في الآخرة.⁽³⁹⁾

ان كثيرا مما ورد من قصص الانبياء في القرآن تدور كذلك في الكتب الأخرى، إلا ان وجود قصص القرآن في كتب أخرى لا يضعف حجته، بل هو من اعظم ما يصدقه ويؤيده، ولذلك ترى القرآن نفسه يدل على كونه من عند الله.⁽⁴⁰⁾

واهم ما يلفت النظر هو ان القرآن يسرد القصة ويقوم بعملية فنية تعتمد على الانتخا ب من الوقائع والاحداث في اجمال لا يحتاج إلى تفصيل، وهو مبدأ عرفته القصة البشرية حديثا، حيث يعتمد المؤلف الى تنجيه كثير من التفاصيل الواقعة التي تضر بالحدث، ولا شك ان الحدث المسرود هو روح القصة، يمنحها الحياة ويضفي عليها الحيوية، والحدث في قصص القرآن بارز ومسيطر، يقوم بدوره من حيث التأثير وتوصيل الغرض الديني، والقرآن الكريم يمكّن بالاحداث ويحرك الاشخاص وينقل ما يقولونه، ولقد سبق القرآن الكريم محاولات البشر في الهيمنة على النص القصصي،⁽⁴¹⁾ أي أن وجود النص القصصي مدونا من قبل الإنسان كان قد ورد فيه عديد النصوص لاسيما تلك النصوص القصصية المدونة بالخط المسماري، وهذا ما نسعى إلى تحقيقه في دراستنا هذه.

وفي ضوء ما سبق ذكره يمكن القول ان القصة في القرآن ذات هدف ديني بحت، فهي مسوقة للموعظة والتربية والتوجيه، ولكنها مع ذلك تفي بكل مطالب الفن القصصي الخالص، وعندما نتحدث عن الاستفادة من القرآن في جمال الفن القصصي لا نقصد بطبيعة الحال ان يلتزم الفن الاسلامي بالقصص التي وردت في القرآن، سواء في الموضوع او في طريقة الأداء، ولكننا نقصد ان يلتقط "التوجيه" الذي تحمله تلك القصص بمدلوله الواسع لا بمعناه الحرفي، ويعمل في محيط هذا التوجيه على نطاق واسع دون ان يتقيد بقيد موضوعي او فني ملتزما فقط بأن يستمد تصوره للحياة والاحداث والاشياء من التصور الاسلامي، او على الأقل لا يصادم في النهاية شيئا من المفاهيم الایمانية.⁽⁴²⁾

ويوجد في النص القصصي القرآني الكريم مجال واسع جدا لتصوير الحياة البشرية في شتى حالاتها ومجالاتها وانفعالاتها وتقلباتها، وتصوير القيم الانسانية في شتى مستوياتها ودلالاتها، مقيسة كلها بنواميس الوجود، وبفكرة الجمال الأصلية العميقة لبنية الكون والحياة والانسان، مجال تلتقي فيه الحقيقة الكونية بالجمال الكوني، بلا تعارض ولا اصطدام، لانه لا تعارض في فطرة الكون بين الحقيقة والجمال.

وقد استخدم القرآن في اغراضه الدينية البحتة كل أنواع القصة سواء القصة التاريخية او الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجا لحالة بشرية، فيستوي ان تكون بأشخاصها الواقعيين او بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج اضافة الى القصة المضروبة للتمثيل، والتي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن ان تقع في اية لحظة واي عصر من العصور.⁽⁴³⁾ وهذا ما حدث بالفعل للنموذج المنتخب لموضوع دراستنا والتي تشير الوقائع التاريخية ان الطوفان قد حدث على الأرجح في الألف الرابع قبل الميلاد بيد ان ذكر القصة في القرآن الكريم جاءت للموعظة والتذكير في آيات عديدة من الذكر الحكيم الذي نزل على سيد الخلق اجمعين في القرن الثامن للميلاد.

ثانياً: مدلول القصة في الكتابات المسمارية:

ترك الكتبة والنساخ الاقدمون في بلاد الرافدين تراثاً أدبياً مهماً تكشف من خلال دراسته جوانب عديدة عن ما تركه السلف من سكان بلاد الرافدين والشعوب المعاصرة لهم. وتعد القصص واحدة من تلك الروائع التي دونها الكتاب السومريون والتي أضاف إليها من بعدهم الكتاب البابليين والآشوريين ملامح جديدة وروى تتناسب ومخيلتهم، ثم ما لبثت تلك القصص أن انتشرت في أنحاء واسعة من الشرق الأدنى القديم وتركت أثراً واضحاً في قصص تلك الشعوب مع ما أضافوه إليها من آفاق وأبعاد جديدة.

وقبل أن نورد مدلول القصص في الكتابات المسمارية الرافدينية القديمة لابد من أن نعرف أن أسلوب السرد القصصي في بلاد الرافدين هو أقدم أسلوب في الأدب عرفه العالم القديم إذا ما قورن بقصص شعوب الحضارات القديمة بشكل خاص وأدبهم بشكل عام، أي أن فكرة كتابة القصة في أدب بلاد الرافدين تسبق جميع ما أنتجه الفكر الإنساني،⁽⁴⁴⁾ لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن أغلب الكتابات المسمارية التي تم إبداعها عن القصص لحال التاريخ تعود إلى منتصف وربما أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، أما تدوينها فيعود إلى أواخر الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد والتي يمكن أن ندرجها ضمن مسمى الأدب السومري والبابلي، والذي تميز بصفات أساسية تقترب من نصوص القصص الأدبية العالمية لدى الشعوب الناضجة في العصر الحديث سواء تعلق الأمر بأسلوب طرح موضوع القصة أو طريقة التعبير عن الأحداث أم من ناحية محتوى وموضوع القصة وتخيل القارئ لتسلسل الوقائع وصورها الفنية المعبرة عن واقع الحياة التي يعيشها الإنسان العراقي القديم.

لقد أمكن فهم مدلول وأهمية كتابة القصص في أدب بلاد الرافدين من بعد قراءة وترجمة العديد من القصص المدونة بالخط المسماري سواء المكتوبة باللغة السومرية أم الأكديّة، والتي تم ترجمة أغلب نصوصها إلى معظم اللغات الحديثة الحية، ومن جملة تلك القصص قصة الطوفان وقصة خلق الكون وخلق الإنسان وقصص أخرى تتعلق بولادة

وشهرة أبطال وملوك حكموا بلاد الرافدين. تبين من خلال الدراسة أنها تتطابق أحياناً وتتشابه أحياناً أخرى مع ما ورد في الكتب المقدسة لاسيما ما ورد في أسفار العهد القديم،⁽⁴⁵⁾ والاهم من ذلك ما ورد منها في القرآن الكريم. موضوع الدراسة. إذ أنه من المعروف والمسلم به أن معلومات الكتاب الأقدم (العهد القديم) تعرضت للزيادة والحذف بعد طول المدة الواقعة بين تاريخ نزولها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على أرجح احتمال،⁽⁴⁶⁾ وتاريخ تدوينها لأول مرة من قبل اليهود القاطنين كآسرى في بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد،⁽⁴⁷⁾ وقد تنبه المفسرون الأوائل للقرآن الكريم إلى عدم دقة المعلومات الواردة في العهد القديم ومنطقية الأحداث الواردة فيها،⁽⁴⁸⁾ بينما نجد التشابه من حيث الجوهر والأساس للعديد من القصص الواردة في النصوص المسمارية المذكورة أعلاه إضافة إلى قصة "سيدنا أيوب" (فقير من نضر) مع ما ورد من آيات بينات في القرآن الكريم، والجميع على دراية أن ما ورد في القرآن الكريم هو الصيغة الحقيقية المنزلة دون تحريف أو تشويه أو زيادة أو نقصان.⁽⁴⁹⁾

إن دراسة وتحليل القصص الواردة في النصوص المسمارية من الأهمية بمكانة أنها تعطينا معلومات دقيقة عن واقع الحياة الدينية وغيرها من جوانب الحياة المختلفة خلال حقبة معروفة لدينا في التاريخ القديم، إلا أن زمن تدوين هذه القصص وأحداثها تم بعد أن تناقلت الألسن بالرواية الشفهية أخبار وأحداث تلك القصص بزمن، فحدث أن غيرت الألسن الناقلة بعض تفاصيلها وأضافة إليها تفاصيل جديدة عندما تم كتابتها بالخط المسماري على يد الكتبة السومريين والبابليين، في حين أن القرآن الكريم قد عكس لنا ما وقع أو حدث فعلاً من دون خلط أو تشويه لاسيما وأن معظم القصص الواردة في القرآن الكريم تتعلق بأنبياء ورسلاً أرسلوا إلى أقوام كانوا خاضعين في الأصل إلى حكم إمبراطوريات بلاد الرافدين أو الممالك المجاورة لهم، لذا فإن الكتابات المسمارية قد ذكرت قصصاً وجدنا في تفاصيلها صدى لما ذكر في القرآن الكريم.⁽⁵⁰⁾

المبحث الثالث: قصة الطوفان في الكتابات المسمارية والقرآن الكريم:

عرفت ثلاث قصص عن الطوفان في وادي الرافدين لحد الآن، الأولى مدونة باللغة السومرية تعرف بملحمة "زيوسدرا"، أما الاثنين الآخرين فأنهما مدونتان باللغة البابلية التي تعرفان بـ "أوتو- نبشتم" و"اتراحاسيس". ومن اللافت للنظر أن أساطير الطوفان تنتشر انتشاراً واسعاً حتى خارج حدود بلاد الرافدين والحضارات المجاورة لها، ونقصد بذلك صدى الطوفان لدى سكان الجبال والمرتفعات وفي الأراضي الاستوائية الواطئة وذلك بموجب آخر الاكتشافات العلمية حول الطوفان⁽⁵¹⁾، وإن دل هذا على شيء فأنما يدل على أن الطوفان ورد ذكره في اصقاع بعيدة عن العراق القديم.⁽⁵²⁾

وفي القرآن الكريم أشير إلى سيدنا نوح عليه السلام مثلاً وإلى حادثة الطوفان في أكثر من أربعين موضعاً في القرآن الكريم، كما أشير إلى كل من آدم وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام في العديد من المواضع⁽⁵³⁾، والقرآن الكريم لا يعطينا عن الطوفان رواية متصلة تقع في سطور وصفحات متتالية من القرآن الكريم من بداية الرواية حتى نهايتها، بل تتناثر الأخبار بشأن الطوفان كما تتناثر بشأن غيره من قصص القرآن في مواضع متفرقة وفي سور

متعددة من القرآن، ففي سور الاعراف وهود والمؤمنون والانبياء والشعراء والعنكبوت والصفافات والقمر نجد ذكر لقصة الطوفان⁽⁵⁴⁾، والمعروف ان سبب حدوث الطوفان موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25) أَنْ لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)**⁽⁵⁵⁾. حيث يخبر تعالى عن نوح عليه السلام، وكان اول رسول بعثه الله الى اهل الارض من المشركين عبدة الاصنام قوله: **إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**.

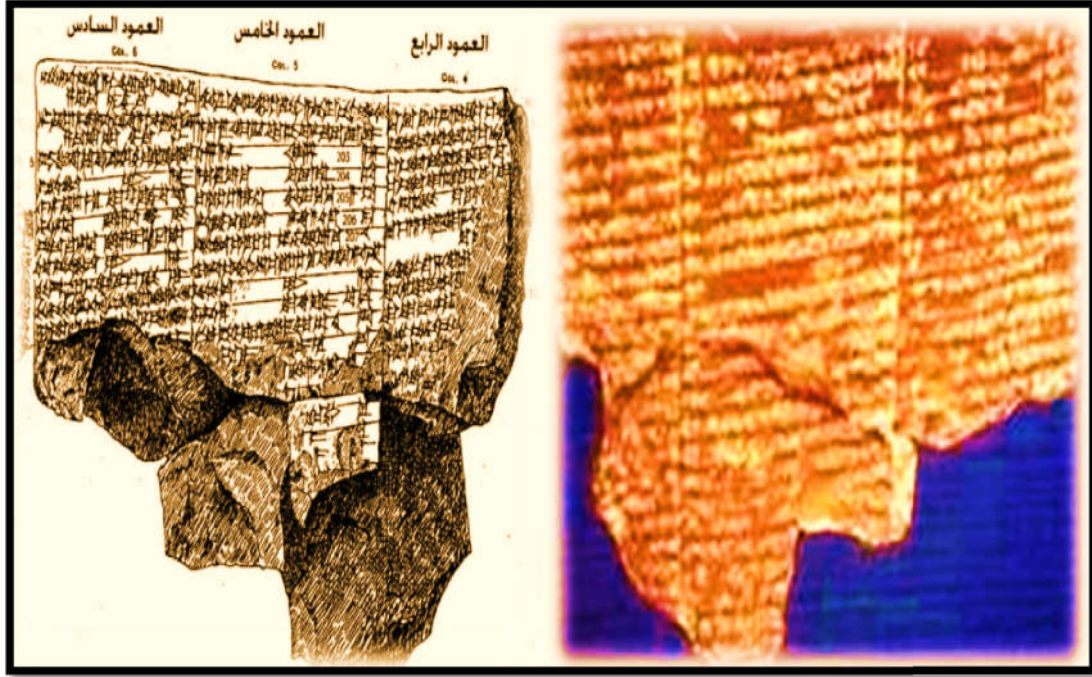
اي ان ظاهر النذارة لقوم نوح من عذاب الله ان انتم عبدتم غير الله، ويقول لهم تعالى ان استمررتم على ما انتم عليه عذبكم الله عذابا اليما موجعا شاقا في الدار الآخرة⁽⁵⁶⁾، ففي آية اخرى يقول تعالى: **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1)**⁽⁵⁷⁾. وبين ماورد في القرآن الكريم من سرد لقصة الطوفان وما ورد من اسطر عدة متعاقبة ومتسلسلة بالخط المسماري عن الطوفان في نسخ عديدة على اللوح المسمارية الشيء الكثير الذي يمكن ان نتدارسة بالشكل التالي:

اولا- قصة الطوفان في الكتابات المسمارية:

تعد قصة الطوفان واحدة من روائع أدب السومريين، والتي اضاف اليها الكتاب البابليون والاشوريون افقا جديدة ثم انتشرت في انحاء واسعة من الشرق الادنى والعالم القديم⁽⁵⁸⁾ وتركت اثرا في معتقدات اكثر شعوب المنطقة، واهمية دراسة هذه القصة تكمن في الحرص على كشف تفاصيل حدث مهم تعرض له الجنس البشري في قديم الزمان، بحيث اصبحت المرجع الاساس في معرفة معتقد السومريين والبابليين عن هذا الحدث المروع، اضافة الى ان هذه القصة قد تناولت في نسختها البابلية تفاصيل دقيقة عن خلق الانسان، ولان هذا الحدث كان بالغ الاهمية في نظر سكان العراق القدماء فقد كتبت اسطر القصة في ثلاث روايات بلغتين مختلفتين اولهما القصة في نصها الاصلي في اللغة السومرية، ثم نص القصة في روايتين باللغة البابلية، وحسب الاتي:

1- **الرواية السومرية (ملحمة زيوسدرا):** - اول تلك القصص الخاصة بالطوفان عرفت من خلال نسخة مدونة باللغة السومرية والبطل فيها يسمى "زيوسدرا"⁽⁵⁹⁾. وتعد قصة الطوفان بنسختها هذه اكثر القصص التاريخية انتشارا، وهناك اوجه شبه بين خطوط القصة العامة وجوهرها في المصادر الثلاثة القرآنية والتوراتية والمسمارية تصل احيانا الى درجة التطابق مما يشير الى ان القصة تعكس حادثة حقيقية وقعت في عصور سحيقة في القدم سبقت العصور التاريخية نفسها، والتي تحدد عادة مع نهاية الالف الرابع وبداية الالف الثالث قبل الميلاد، وان تلك الحادثة كانت من جسامه التأثير وفداحتها انها تركت اثرا بليغا في نفوس الاجيال المتعاقبة فتناقلتها بالروايات الشفوية وغيرت من تفاصيلها الحقيقية ونسجت حولها ما نسجت من خيال الرواة، حتى وجدت الرواية طريقها الى التدوين اول مرة في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد على ايدي الكتبة السومريين⁽⁶⁰⁾، ومن المؤسف ان نص هذه الرواية ناقص ولم يبق منه اجزاء كثيرة، حيث وجد اللوح الخاص بنص القصة اثناء التنقيبات القديمة التي اجريت في مدينة "نفر"⁽⁶¹⁾ في اواخر القرن التاسع

عشر الميلادي وهو موجود الآن في متحف جامعة بنسلفانيا في اميركا،⁽⁶²⁾ والنص تالف يفتقد الى البداية والنهاية، (ينظر صورة الرقيم) حيث دوت في العصر البابلي القديم (في حدود 1600 ق.م) ومن المحتمل انه يمثل نسخة من تأليف سومري أقدم، اذ من المعروف ان الاشارة الى الطوفان وردت في نصوص سومرية تتعلق بالملك "اشمي-داكان" (Ašmi-dagan) (1953 - 1935) ق.م.⁽⁶³⁾



الرقيم الطيني الخاص بقصة الطوفان السومرية، بتصريف من :
فاضل عبد الواحد علي، الطوفان، مصدر سابق، ص 199.

وللوقوف على احداث الطوفان بتسلسل الاحداث ندرج في ادناه خطوات خبر الطوفان وحادثه :

أ- خبر الطوفان يصل للملك "زيوسدرا" :- يظهر من النص السومري لقصة الطوفان ان "زيوسدرا" كان يقف الى جوار جدار عندما سمع صوت إله يهمس بأذنه ويقول :

"ايها الجدار اريد ان اتحدث اليك فاستمع الى كلماتي واصغ الى وصاياي..."⁽⁶⁴⁾
ثم يخبره، بان الطوفان آت وأنه سيقضي على البشر.

لقد اشارت المصادر الكتابية عن تاريخ العراق القديم الى ان اسم الملك "زيوسدرا" كان من بين الشخصيات الدينية التي تعيش في مدينة "شروباك" احدى مدن بلاد سومر بعد ان نزلت الملكية من السماء باشاراتها وأسست المدن السومرية الخمس وهي "اريدو"، "بادتيرا"، "لارك"، "سبار" و"شروباك" واعطى كل منها الى زعيم ليحكمها، وفي عهد الملك "زيوسدرا" الذي

يوصف ايضا بالكاهن والذي تصفه القصة بالتقوى، حدث الطوفان الاعظم الذي ارادت به الالهة تحطيم الجنس البشري وصممت على انزاله بالارض في مجلسها الرباني⁽⁶⁵⁾.

لقد ذكر الطوفان كحدث عظيم الاثر عند سكان وادي الرافدين بحيث ان مؤلفي الاساطير جعلوه حدا فاصلا بين عهدين متميزين في تاريخ الميлад، عهد ما قبل الطوفان وعهد ما بعد الطوفان اي انه يضاهي ما وضعه المؤرخون المحدثون في تقسيم التاريخ البشري العام الى العصور القديمة والعصور الحديثة⁽⁶⁶⁾.

وكما جاء في القصة فان "زيوسدرا" كان ملكا صالحا، يعبد الالهة ويخافها وانه كان على ما يرجح يحكم في مدينة "شروباك" (تل فارة) بالقرب من مدينة "الوركاء"⁽⁶⁷⁾.

وتحكي لنا الكتابات المسمارية ان سبب الطوفان كان للتخلص من البشر بعد ان تكاثر الناس وزاد ضجيجهم وصخبهم مما ازعج الالهة حيث نقرأ:

لم تمض بعد الف ومئتي سنة

حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس

واصبحت البلاد تخور مثل الثور

فانزعج الاله (انليل) من ضجيجهم

اجل لقد سمع انليل صخبهم

فقال مخاطبا الالهة العظام

لقد اصبح صخب البشر شديدا علي

وقد حرمني ضجيجهم من النوم

فلنأمر بالنوباء ينتشر بين الناس"⁽⁶⁸⁾.

وبما ان الطوفان كان مخططا له ان ياتي على البشرية برمتها، فقد قام الاله "ايا" صديق البشر، بتحذير احد البشر، عندما اوحى اليه من خلال مخاطبة الكوخ والجدار بان يبني له سفينة للخلاص من الخطر المحدق بالبشر،⁽⁶⁹⁾ وليس هناك من شك بان هذا الشخص هو "زيوسدرا"، ونص تلك المخاطبة كالآتي:

"يا كوخ! يا كوخ! يا جدار!، يا جدار!

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط

ايها الرجل ((الشروباكي)) يا ابن ((اوبار- توتو))

قوض البيت وابن لك فلكا (سفينة)

تخل عن مالك وانشد النجاة

انبذ الملك وخلص حياتك"⁽⁷⁰⁾

واقتنع الرجل وبدأ ببناء السفينة حسب المواصفات التي اوحى بها اليه الاله "ايا" اله الحكمة في نظر سكان بلاد الرافدين القدماء.

ب- وصف السفينة ومراحل بنائها :- لقد فصلت المصادر المسمارية بوصف السفينة وصناعتها ، ويفهم من نصوص ملحمة جلجامش انها بنيت من الخشب واستعمل القير لطلائها وغرزت مسامير من الخشب في الثقوب لمنع تسرب المياه اليها ، اي انها كانت ذات ألواح وسدر في اشارة الى استخدام القصب في بناء السفينة ، وتفصل الملحمة في مقاسات السفينة وشكلها العام . على يبدو مما ذكر من قياسات واصاف . انها كانت على شكل مكعب منتظم طول ضلعه 120 ذراعا (60مترا) وار تفاعه 120 ذراعا ، ومن المحتمل ان الطوابق السبعة كانت مدرجة من حيث المساحة بحيث ان اوسعها يمثل الطابق الاسفل ومقياسه (120 x 120 ذراعا) ثم تتناقص مساحة الطابق الثاني والثالث وهكذا حتى الطابق السابع ، وبعبارة اخرى ان السفينة كانت على شكل اشبه بالزقورة (برج مدرج) عائمة على سطح الماء .⁽⁷¹⁾

ومن بين النصوص نجد ما يفيد وصف السفينة الدقيق من حيث البناء ومراحله ، اذ يصف صانع السفينة عمله بالاتي :

وفي اليوم الخامس حددت شكلها ،

ايكر⁽⁷²⁾ واحد مساحة ارضها ،

120 ذراعا⁽⁷³⁾ ارتفاع كل من جدرانها ،

120 ذراعا كل جانب من سطحها المربع ،

حددت شكلها الخارجي ،

وجعلتها من ستة طوابق ،

وبهذا افرزتها الى سبعة طوابق ،

ارضها المسطحة قسمتها الى تسعة اقسام ،

وغرزت اوتاد الماء فيها ،

نظرت الى سارية القارب واكملت تجهيزها ،

6 سار⁽⁷⁴⁾ من القارب الكوره ،

3 سار من القطران صببت بداخلها ،

3 سار من الزيت جلبها حاملو السلال ،

سار واحد من الزيت طليت به السفينة ،

2 سار خزنها النوتي ،

نحرت البقر ،

ونحرت الخراف كل يوم ،

والنبيذ الاحمر والزيت والنبيذ الابيض ،

اعطيت الى العمال ليشربوا بكثرة كماء النهر ،

وكانهم في يوم عيد رأس السنة ،

تم بناء السفينة في اليوم السابع".⁽⁷⁵⁾

ويخبرنا رجل الطوفان من خلال اسطر القصة انه وجد صعوبة في انزال السفينه الى الماء، اشارة منه الى كبر حجم السفينة التي بناها اذ يذكر :

"وكان انزالها في الماء صعبا جدا،

لذلك كان عليهم ان يبذلوا الواح الزلج من تحتها وفوقها،

حتى نزل ثلثاها في الماء".⁽⁷⁶⁾

وبعد ان انتهى "زيوسدرا" من بناء السفينة واقامت الاحتفالات اللازمة لذلك هرع رجل الطوفان الى اكمال امر الاله "ايا" ونصه الاتي :

"احمل في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية"⁽⁷⁷⁾

ثم يقول الاله (ايا) مخاطبا رجل الطوفان :

"ترقب الوقت المحدد الذي سوف اخبرك عنه،

ثم ادخل السفينة واغلق بابها،

احمل فيها شعيرك وامتعتك واموالك،

وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين،

واني سارسل اليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي،

ياكل العشب في السهل ،

وانها سوف تنتظر عند بابك".⁽⁷⁸⁾

ج- بدء الطوفان ووصف هوله :- بعد ان انتهى رجل الطوفان من بناء السفينة وتحميلها، دخل فيها وأغلق بابها منتظرا الساعة المحددة لبدء الطوفان، وكان ذلك في الليلة السابعة، وقد وصفت لنا اسطر القصة هول الطوفان الذي قضى على كل شيء في الارض باستثناء من كان في الفلك، حيث الظلام الدامس والرعد يشق عنان السماء واعاصير مدمرة ورياح عاتية ومياه كسرت السدود واغرقت كل شيء، وكان التدمير والهلاك الذي حل بالارض مدعاة ندم من قبل بعض الالهة التي عرفت بحبها للبشر مثل الاله "نكي" والالهة "ننتو" والالهة عشتار".⁽⁷⁹⁾

وفعلا حدث الطوفان واغرق المدن الخمسة التي سبق ذكرها ، وبدأت المياه بالارتفاع لسبع ايام بلياليها وظلت السفينة تعصف بها الرياح العاتية في المياه العالية.⁽⁸⁰⁾

ومن بين اسطر وصف مشهد هذه الاحداث نقراً :

"وجاءت كل الرياح والعواصف المدمرة

واكتسحت الزوابع العواصف

وبعد ان اكتسحت الزوابع البلاد في سبعة ايام وسبع ليالي

وتارجحت السفينة مع الرياح المدمرة في المياه العالية

بزغت الشمس ، منيرة الارض والسماء

فتفتح زيوسدرا كوه في السفينة الواسعة

وركع الملك زيوسدرا امام اله الشمس

ثم نحر الملك عددا كبيرا من الثيران والاغنام...⁽⁸¹⁾

د- انتهاء الطوفان ورسو السفينة :- بعد ان هدأت السماء وخفت وطأة الرياح وسكنت العواصف وانتهى الطوفان واستقرت السفينة على جبل "نصير"،⁽⁸²⁾ ويبدو من خلال الاحداث نهاية قصة الطوفان ان الملك زيوسدرا قد كوفيء مقابل انقاذ نسل البشرية من الفناء بان منحته الالهة في النهاية حياة ازلية فاصبح يتمتع بصفة الخلود مثل الالهة وانها حصلت مسكنها في مدينة "دلمون".⁽⁸³⁾

لقد قام الملك "زيوسدرا" بتقديم الصلوات الى الهين "انو" و"انليل" اللذين رفعاه الى الحياة الازلية مثل الالهة :

"وركع زيوسدرا امام انو وانليل ،

اللذين وهباه حياة (ازلية) مثل الالهة ،

اللذين رفعاه الى الحياة الازلية مثل الالهة ،

في ذلك الوقت اسكن (الالهة) الملك زيوسدرا ،

الذي انقذ بذرة الانسان وقت (؟) الدمار ،

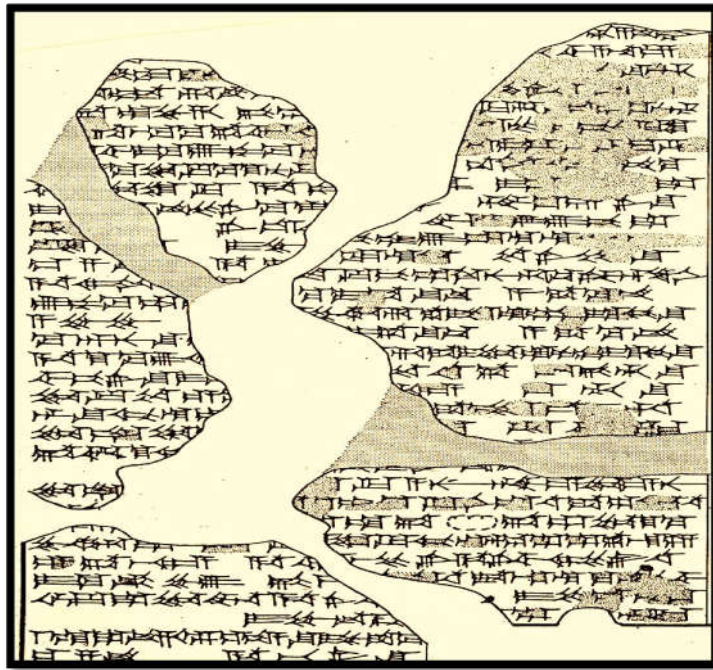
في بلد على البحر ، في الشرق في دلمون (dilmun)".⁽⁸⁴⁾

ه- الاماكن المهمة التي حدثت فيها الطوفان :- اجريت العديد من الحفريات للبحث عن مكان الطوفان الذي وقع في وادي الرافدين بكل تأكيد ، ولقد رجّح الاثاريون اثناء تنقيباتهم عدد من المواقع الاثرية المهمة لموقع حدوث الطوفان مثل مدن (اور ، كيش ، شروباك ، نينوى ، الوركاء ، لكش ..) وذلك بالاستناد الى طبقات رسوبية بها آثار الطوفان ، لاسيما وان المدن التي حدث فيها الطوفان كانت محصورة في منطقة صغيرة نسبيا⁽⁸⁵⁾ ، وقد قام الاثاري الشهير "ليونارد وولي" في اواخر العشرينات من القرن الماضي باجراء التنقيبات في مدينة "اور" ، وفي نهاية اعمال التنقيبات قام "وولي" بحفر خندق مساحته 5م تقريبا تحت المقبرة الملكية التي عثر عليها في مينة اور ، وبعد ازالة الانقاض ظهرت على عمق 1م طبقة من الطين النقي حيث ظن لأول نظرة انها ارض البكر ، وبعد استمرار بالحفر لعمق 2.5 م ظهرت الات وادوات صوانية وكسر فخارية من فترة عصر العبيد ، وقد استنتج عالم الآثار "وولي" بان هذه المنطقة الغرينية هي دليل على ان الطوفان كبيرا وعظيما اكتسح مدينة اور في اواخر عصر العبيد بحدود 3500 ق.م⁽⁸⁶⁾ . والمدينة الثانية التي حملت اثار طوفان عظيم هي مدينة "كيش" السومرية التي تعرف اليوم بـ"تل الاحيمر" وحسب المصادر السومرية القديمة كانت هذه المنطقة مستقرا لاول سلالة حاكمة بعد الطوفان⁽⁸⁷⁾ ، واثناء التنقيبات عثر على طبقات من التراب الاحمر الذي سببته مياه الفيضان وصل سمكها 45 سم وعلى عمق 11م تحت اطلال المدينة في منطقة المقبرة ، وتحت هذه الطبقة وجدت بقايا عظام الاسماك الصغيرة مما يدل على ان هذه الاسماك لاقت حتفها بعد انسحاب مياه الفيضان⁽⁸⁸⁾ . وكذلك الحال

بالنسبة لمدينة "شروباك" حيث ظهرت فيها اثار الطوفان العظيم، حيث نقب فيها "ايريك شميدت" من جامعة "بنسلفانيا" ما بين عامي (1920 - 1930 م) وكانت اثار الطوفان في هذه المدينة واضحة وجلية في الطبقات المختلفة من الحفريات، والنتيجة المهمة هنا هي ان طوفانا عظيما حدثت في هذه المدينة ما بين (3000 - 2900 ق.م). وحسب رواية "مالوان"، وصل "شميدت" الى عمق 3 - 4 امتار تحت الارض ليجد طبقة من التربة الصفراء تشكلت نتيجة الطوفان، كانت هذه الطبقة المتشكلة من خليط من الطين والتراب اقرب الى المستوى المنبسط منها الى الركام الترابي في مدينة "شروباك".⁽⁸⁹⁾

اما مكتشفات المنقب "جوردن" (Jordon) اثناء حفرياته في مدينة "الوركاء" (Uruk) فقد اظهرت دلائل على اثار الطوفان في طبقة معاصر الى ما عثر عليه في مدينة "اور" ويعود تاريخها الى 3300 ق.م، ونفس الشيء يقال عن اكتشافات حوض سد حميرين في (تل سليمة وتل السيب) فقد اثبتت التنقيبات عن حدوث الطوفان خلال الالف الرابع ق.م.⁽⁹⁰⁾

2- الرواية البابلية لقصة الطوفان:- يمكن الاعتماد على معلومات الرواية البابلية لقصة الطوفان في بادي الامر بموجب اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش، فمن المعروف ان الرقيم "الحادي عشر" من ملحمة "كلكاش" يتناول موضوع الطوفان الذي اجتمعت الالهة على احداثه لافناء البشرية. (ينظر صورة الرقيم)



استساخ لجزء من احد رقع قصة الطوفان البابلية، نقلا عن: فاضل عبدالواحد علي، الطوفان، مصدر سابق، ص 201

تدور حوادث القصة في هذا الرقيم من الملحمة في مدينة "شروباك" التي قامت فيها اخر سلالة حاكمة قبل حدوث الطوفان، وكما معروف ان بطل القصة هو "اوتونا بشتيم" الذي قصده كلكاش للبحث عن سر خلوده الابدي⁽⁹¹⁾، واحتفظت الالهة بسر الموت والحياة لنفسها، اي انها لا تطلع عليه احدا من الناس، وهناك سألته كلكاش: كيف يمكن ان يحصل

على الخلود؟ فأخبره بقصة الطوفان كجواب عن سؤاله ، بدأ "أوتونابشتم" حديثه عن القصة التي سيرويها الى كلكامش هي سر من اسرار الالهة ، قال : انه جاء من مدينة "شروباك" اقدم مدن ارض "أكاد" عاصمة الدولة الاكدية ، و ناداه الاله من خلف جدران كوخه المصنوع من القصب واخبره ان الالهة قررت ان تقضي على كل ما هو حي فتغرقه بطوفان ، الا ان سبب قرارهم هذا اغفل في القصة البابلية كما اغفل في الرواية السومرية ، وذكر "أوتونابشتم" ان الاله "ايا" اخبره ان يصنع سفينة ويضع فيها بذور كل الاحياء⁽⁹²⁾ ، وامر الاله "ايا" رجل الطوفان "أوتنابشتم" ان يحمل معه في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية ، وعن ذلك يقول رجل الطوفان ما نصه :

ثم حملت فيها كل ما املك ،

حملت فيها كل ما املك من فضة ،

حملت كل ما املك من ذهب ،

وحملت كل ما عندي من مخلوقات حية ،

واصعدت على ظهر السفينة عائلتي وذوي قرباي ،

واصعدت على ظهرها حيوان الحقل وحيوان البر المتوحش وكل الصناع...⁽⁹³⁾

كما اعلم الاله "ايا" "أوتونابشتم" ابعاد وحجم السفينة التي سيصنعها⁽⁹⁴⁾ ، وبعد ان تم صنع السفينة يصف لنا "أوتونابشتم" الساعات الاولى لعملية حدوث الطوفان بالقول :

"ولما حان ذاك الوقت المعين ،

وانزل الموكل بالشرور في الليل مطر الهلاك ،

تطلعت الى حالة الجو ،

فكان الجو مغيفا للنظر ،

(وعندئذ) دخلت السفينة واغلقت الباب ،

واسلمت دفعة (؟) السفينة الى الملاح بوزور - آموري (Puzur-Amuri) ،

وعند اطلالة الفجر ،

ظهرت في الافق سحابة سوداء ،

كان الاله ادد يرعد في داخلها ،

(بينما) كان شولات (SHullat) وخانيش (Hanish) يسيران في مقدمتها ،

(وعندئذ) اقتلع ايراكال (Erragal) دعائم السد للمياه السفلى ،

وانطلق الاله ننورتا (Ninurta) ليجعل المياه تطفئ من فوق السدود ،

ورفع انونانكي (Anunnaki) المشاعل ،

ولما وصل الرعب من الاله ادد الى عنان السماء ،

وتعطلت الارض الواسعة مثلما يتعطم الاناء ،

استحال كل نور الى ظلمة...

وظلت ريح الجنوب تهب يوما (كاملا)،

وتزايدت سرعتها وهي تهب حتى (اجتاحت جبال)،

وفتكت بالناس مثل حرب ضروس،

فلم يستطع الاخ ان يرى اخاه،

ولم يكن بالمستطاع تمييز الناس من السماء،

حتى ان الالهة ذعرت لهول الطوفان،

فاخذوا يتراجعون الى خلف حتى وصلوا الى سماء الاله انو،⁽⁹⁵⁾

ان الوصف الدقيق الذي عرفناه من خلال السطور اعلاه يتم عن دقة في السرد القصصي التمثيلي لكل صغيرة وكبيرة

رافقت حدث الطوفان الذي استمر على هذا المنوال سبعة ايام وسبع ليال.

وبعد انتهاء الطوفان يتحدث "اوتونا بشتم" واصفا الحدث لـ"كلكامش" قائلا :

"ثم فتحت نافذة (في السفينة) فسقط النور على وجهي،

فسجدت وجلست باكيا،

والدموع تجري على وجهي،

ثم اخذت اتطلع الى سواحل البحر الواسع،

فبانت الارض من مسافة اثني عشر ميلا مضاعفا..⁽⁹⁶⁾

وفي تلك الاثناء استقرت السفينة على جبل ذكرته النصوص المسمارية بالشكل الاتي :

"على جبل نصير، رست الفلك،

ثبت جبل نصير الفلك ولم يعط مجالا للابحار،

في اليوم الاول واليوم الثاني ثبت جبل نصير الفلك ولم يعط مجالا للابحار،

في يوم الثالث واليوم الرابع ثبت جبل نصير الفلك ولم يعط مجالا للابحار،

في اليوم الخامس واليوم السادس ثبت جبل نصير الفلك ولم يعط مجالا للابحار،

بحلول اليوم السابع⁽⁹⁷⁾

ويستمر "اوتونا بشتم" سرد قصة الطوفان في جزئها الاخير وفي يومها السابع بعد ان اخرج حمامة واطلقتها

فطارت الحمامة ثم عادت لانها لم تجد موضعا تحط فيه، واطلق طائر السنونو فطار السنونو ثم عاد لانه لم يجد موضعا

يحط فيه، واخيرا اطلق غرابا فذهب الغراب ولما رأى المياه قد انحسرت حام واكل وحط ولم يرجع، وعند ذاك اخرج كل ما

في السفينة الى الرياح الاربعة وقرب القرايين وسكب الماء المقدس على قمة الجبل ونصب سبعة وسبعة قدور للقرايين

وكدس اسفلها القصب والاس والارز فشمت الالهة شذاها⁽⁹⁸⁾، ونص اسطر هذا السرد الاتي :

"وراحت الحمامة ولكنها لم تلبث ان رجعت،

لقد رجعت الحمامة لانها لم تجد محطا لها ،
(وعندئذ) اخرجت السنونو واطلقتها ،
وراح السنونو ولكنه لم يلبث ان يرجع ،
لقد رجع السنونو لانه لم يجد محطا له ،
(ومن ثم) اخرجت الغراب واطلقتها ،
وراح الغراب ولكنه عندما رأى ان المياه انحسرت ،
اكل وحام ونعق ولم يرجع".⁽⁹⁹⁾

3- قصة الطوفان عند اتراخاسيس: - القصة المتكاملة عن الطوفان وجدناها مدونة على ثلاثة الواح ارخت بحكم الملك البابلي "أمي صدوقا" (umi saduqa) (1646 - 1626 ق.م) اي ان زمن تدوينها يعود الى العصر البابلي القديم ، وبلغ مجموع الاسطر في الالواح الثلاثة حسب ما ذكر الناسخ البابلي "گو- ايا" (Gu-Ea) نفسه "1245" سطرا ، وبطل القصة رجل اسمه "اتراخاسيس" ويعني اسمه "المتناهي في الحكمة" وهو الرجل العظيم الذي بنى سفينة وانقذ البشرية من الهلاك ، شخصية فذة تتمتع بمكانة مرموقة وعريقة التصقت بها تقاليد أدبية ودينية متعددة ، حيث نجده في أدب بلاد الرافدين ، الرجل الوحيد الذي استطاع البقاء على قيد الحياة بعد الطوفان ، بمعية زوجته ، وقد اسبغت عليه الالهة العظمى نوعا من الخلود ، وتعد قصة الطوفان التي بطلها من أشهر رواة الأزمنة الغابرة واكثرهم شعبية.⁽¹⁰⁰⁾ وذلك حسب تسلسل أحداث القصة من البداية الى النهاية ، حيث تتناول القصة ثلاثة مواضيع رئيسية متسلسلة ، هي :

أ- خلق الانسان من اجل ان يحل محل الالهة في تحمل مشقة العمل لاصلاح الارض واعمارها وزرعها.
ب- تكاثر الناس وازدياد ضجيجهم في الارض مما سبب المتاعب للالهة فقررا الاله "انليل" (Enlil) انزال الوباء ومن ثم المجاعة لانقاص عددهم.

ت- عندما لم تنفع تلك الاجراءات للحد من تزايد عدد الناس ارسل "انليل" الطوفان عليهم لبادتهم⁽¹⁰¹⁾ ، اذ نجد هذا الوصف بشكل دقيق في اسطر احد الالواح الثلاثة بالشكل الاتي :

"صارت البلاد واسعة ،
وصار الناس كثيرين ،
وحزن الاله من صخبهم ،
سمع انليل ضجيجهم ،
وقال للالهة العظام لقد صار ضجيج البشر ثقيل الوطأة ،
لقد منعوا بصخبهم النوم".⁽¹⁰²⁾

اما بطل هذه القصة فيوصف بأنه كان رجلاً تقياً استمع الى وصية اله الحكمة "ايا" وادرك مغزاها بقرب حلول الطوفان وانه نفذ اوامر الاله وبنى سفينة النجاة⁽¹⁰³⁾، وحسب الرواية فقد أنقذ "اوبراتوتو" او "خاسيساترا" وعائلته وخدمه وقطعانه والحيوانات الاليفة على سفينة طولها 600 ذراعاً وارتفاعها 60 ذراعاً وعرضها 60 ذراعاً ايضاً، واستمر الطوفان ستة ايام وست ليال وقد أعلم الاله "ايا" الرجل التقي ما يجب عليه فعله قائلاً له :
 'ترقب الوقت المحدد الذي سوف اخبرك به ،
 ثم ادخل السفينة واغلق بابها ،
 احمل فيها شعيرك وامتنعتك واموالك ،
 وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين ،
 واني سأرسل اليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي ،
 يأكل العشب في السهل ،
 وانها سوف تنتظر عند بابك'.⁽¹⁰⁴⁾

وعندما رست السفينة على جبل نصير عادت الحمامة التي اطلقت من السفينة ولم يعد الغراب الاسود⁽¹⁰⁵⁾.
 وبذلك تكون احداث قصة الطوفان برواياتها رغم تعددها متشابهة من حيث المغزى والهدف والنتيجة. ولنعرف الان ماذا يمكن ان يقدمه لنا اعظم كتب الله الذي حفظه سبحانه وتعالى، عن قصة الطوفان.

ثانياً - الطوفان في القرآن الكريم:

تبدأ قصة الطوفان في القرآن بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده، فهذا هو المصدر الذي يتلقى منه الرسل التكليف، كما يتلقون حقيقة العقيدة، وهو المصدر الذي صدر منه الوجود كله، وصدرت منه الحياة، وتوضح بعض الايات الامر الالهي الى نبي الله نوح عليه السلام، ببناء الفلك استعداداً للحدث المعروف بالطوفان، باعتباره وسيلة للنجاة⁽¹⁰⁶⁾، من قوله تعالى:

"وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَآ تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)"⁽¹⁰⁷⁾

وتلبية لامر الله جل وعلى نرى مشهد سيدنا نوح عليه السلام وهو يصنع الفلك⁽¹⁰⁸⁾، وقد اعتزل القوم وترك دعوتهم وجدالهم، ومن الافت في الامر ان الفعل "يصنع" جاء بالتعبير المضارع، ليعطي المشهد حيويته وجديته، فنحن نراه مائلاً لخيالنا من وراء هذا التعبير، ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يمرون به ويسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم انه رسول ويدعوهم ويجادلهم فيطيل جدالهم، ثم اذا هو ينقلب نجاراً يصنع فلكاً.. انهم يسخرون لانهم لا يرون الا ظاهر الامر، لا يعلمون ما وراءه من وحي وأمر، شأنهم دائماً في ادراك الظواهر والعجز عن ادراك ما وراءها من حكمة وتقدير، فاما نوح فهو واثق عارف وهو يخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة انه يبادلهم سخرية بسخرية، نسخر منكم

لانكم لاتدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير⁽¹⁰⁹⁾ ، لان الفلك وسيلة للنجاة من الطوفان، ولحفظ بذور الحياة السليمة لكي يعاد بذورها من جديد، وقد شاء الله ان يصنع نوح الفلك بيده، لانه لا بد للانسان من الاخذ بالاسباب والوسائل، وبذل اخر ما في طوقه .

واعطي القرآن علامة على بدء الطوفان في ايتين، في قوله تعالى :
"حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (40)⁽¹¹⁰⁾

يفهم من الايات ان فوران التنور قد يكون بعين فارت فيه ، او بفوارة بركانية، وان هذا الفوران ربما كان علامة من الله لنوح (عليه السلام) ، او كان مجرد مصاحبا لمجيء الامر⁽¹¹¹⁾ ، وفي اية اخرى قال تعالى :
"فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَلْإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ" (27)⁽¹¹²⁾

وجعل الله له علامة للبدء بعملية التطهير الشاملة لوجه الارض، وانجس الماء قتلك هي علامة ليسارع نوح⁽¹¹³⁾ ، فحينئذ امر الله نوحا ان يحمل معه في السفينة من كل زوجين من صنوف المخلوقات ذوات الارواح، وغيرها من النباتات اثنين ذكرا وانثى⁽¹¹⁴⁾ ، وتصف الاية الكريمة كيفية حدوث الطوفان في قوله تعالى :

"فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)"⁽¹¹⁵⁾
والمتدبر للامر يرى ان حركة كونية ضخمة غامرة تصورها الفاظ وعبارات مختارة، تبدأ باسناد الفعل الى الله مباشرة، بلفظ "فَفَتَحْنَا" ، فيجس القاريء بان يد الجبارتفتح ابواب السماء، و"بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ" غزير متوال، وبالقوة ذاتها وبالحرية نفسها، "وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا" وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الارض كلها، وكأنما الارض كلها قد استحالت عيوننا، والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الارض، "عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ" التقيا على امر مقدر، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الامر المقدر، طائعان للامر، محققان للقدر، حتى صار طوفانا يغمر وجه الارض⁽¹¹⁶⁾ .

وفي اية اخرى يؤكد القرآن حدوث الطوفان العظيم بقوله تعالى :
"وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42)"⁽¹¹⁷⁾

يقول تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام انه قال للذين امر بحملهم معه في السفينة، ان باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها، وهو رسوها، والسفينة سائرة بهم على وجه الماء، الذي قد طبق جميع الارض، حتى طفت على رؤوس الجبال، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا، وقيل بثمانين ميلا، وهذه السفينة على وجه الماء سائرة باذن الله وتحت كنفه وعنايته، وحراسته⁽¹¹⁸⁾ .

اما كيفية انتهاء الطوفان فقد ذكر في القرآن الكريم بقوله تعالى :

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَالْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)،⁽¹¹⁹⁾

هنا يوجه الخطاب الى الارض والى السماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاهما للامر الفاصل قتبلى الارض وتكف السماء، فابتلعت الارض الماء في جوفها وغار من سطحها، ونفذ القضاء، وبعدها رست رسو الاستقرار على جبل الجودي⁽¹²⁰⁾. وبذلك يكون مستقر الفلك على جبل تبء بعده حياة جديدة بعد خادثة مهمة ومعبرة على بني البشر الاستفادة منها في بيان عظمة الخالق وتعاماه مع خلقه.

ومهما يكن من أمر فان مذكر من احدث في القصة سواء تلك التي تناولتها الكتابات المسمارية او ما ورد عن ذكرها في الذكر الحكيم، تخرج لنا بنتائج يمكن الاستفادة منها في كل وقت وحين، بحيث يمكن القول ان محاولة دراسة قسم من اقسام القرآن وهو القصص، ومحاكات هذا القسم بما ورد في النصوص المسمارية، كانت نابغة من الرغبة في الوصول الى الهدف الاسمى من خلال الدراسة والمتمثل في ان النص القرآني بشكل عام والنص القصصي بشكل خاص، جاء مصدقا لما سبقه من نصوص قصصية دونت ونشرت قبل عشرات القرون من نزول القرآن الكريم، ولان اكتشاف وحل وترجمة رموز الكتابات المسمارية التي غطت في سبات عميق في باطن الارض، الى ان عرفها العالم بعد عشرات القرون من نزول القرآن الكريم، ومعرفة تفاصيل ماورد من قصص في كلا المصدرين واقتراباهما في اغلب الاحيان الى حد التطابق من حيث مبدأ السرد القصصي دون التطرق الى التفاصيل الدقيقة وعدم تطابق المسميات في احيان اخرى، لهو اشارة الى حقيقة هامة مفادها ان القرآن الكريم نزل من لدن عليم حكيم يعلم الاول والاخر والظاهر والباطن، كتاب ذكره محفوظ من الزيف والخطأ. قال تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَعَافُظُونَ (9)⁽¹²¹⁾

الخاتمة والاستنتاج:

في ضوء ما سبق فان الدراسة اظهرت جملة من الاستنتاجات بينتها لنا قصص القرآن الكريم والتفاصيل الواردة في الكتابات المسمارية، يمكن حصر اهم هذه الاستنتاجات واكثرها وضوحا في الاتي:

- 1- لا يمكن ان ننكر وجود التشابه في احيان بين نص القصة القرآني ونص القصة في الكتابات المسمارية، ودليل ذلك على سبيل المثال ان بطل قصة الطوفان الذي اخبر من قبل الاله ليصنع الفلك، واحد في شخصيته مختلف في الفاظ اسمائه زيوس، سدراس حسب الرواية السومرية و"اوتو-نبشتم" حسب الرواية البابلية وسيدنا "نوح" حسب النص القرآني.
- 2- يمكن اعتبار قصة الطوفان واحدة من روائع أدب السومريين، والتي اضاف اليها الكتاب البابليون والاشوريون افاقا جديدة ثم انتشرت في انحاء واسعة من الشرق الادنى القديم وتركت اثرا في معتقدات اكثر شعوب المنطقة، لما لها

من الاهمية والدراسة في انها كشف تفاصيل حدث مهم تعرض له الجنس البشري في قديم الزمان، وهذا الحدث قد ورد ذكره بشكل متشابه تماما في كل قصة سواء تلك التي ذكرتها النصوص المسمارية او مع القصة التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، بيد ان التفاصيل كانت مختلفة بعض الشيء بالنسبة للنص القرآني على اعتبار ان بطل الطوفان (نوح عليه السلام) نبي مرسل له مهمة خاصة كان عليه ان ينفذها بدقة كجزء من الارادة الالهية التي يفرضها الله على بني البشر.

الإحالات والهوامش :

- 1 - عامر سليمان، اللغة الاكادية (البابلية - الاشورية)، تاريخها وتدوينها وقواعدها، دار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، 2005، ص 99 وما بعدها.
- 2 - بريجيت ليون وسيسيل ميشيل، الكتابات المسمارية وفك رموزها، 2011، ترجمة علا المهدي التونسي، مؤسسة لابوست، الاديب للطباعة، ص 16.
- 3 - هاري ساكن، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، منشورات مجمع العلمي العراقي، بغداد، 1999، ص 396.
- 4 - عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم - موجز التاريخ الحضاري، الجزء الثاني، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1993، ص 394-395.
- 5 - فاضل عبدالواحد علي، الادب، حضارة العراق، ج 1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، ص 324.
- 6 - قصي منصور عبدالكريم التركي، جوانب من الجذور الحضارية لاساطير بلاد الرافدين وأثرها في الثقافة الافريقية القديمة، مجلة دراسات تاريخية، العدد الاول، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، ديسمبر، 2013، ص 26.
- 7 - عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، مصدر سابق، ص 394 - 395.
- 8 - فاضل عبدالواحد علي، العراق في موكب الحضارة الاصاله والتأثير، الجزء الاول، بغداد، 1988، ص 192.
- 9 - محمد حسين نجم، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم وأثرها عند اليونان، بيت الحكمة، الطبعة الاولى، بغداد، 2003، ص 21. علما بان جزيرة كريت من جزر البحر المتوسط تقع جنوب اليونان حيث كان اول مناطق ازدهار لحضارة العصر البرونزي الاغريقية (حوالي 2600 - 2000 ق.م، ينظر، كلين دانيال، موسوعة علم الآثار، ج 2، ترجمة، ليون يوسف، الطبعة الاولى، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1991، ص 472.
- Splendor of an Unknown Empire, National Geographic -Howard La fay, Ebla, 10
(December, 1978), pp.736-737. 6.Magazine, Vol. 154, No
- 11 - سامي سعيد الاحمد، حضارات الوطن العربي القديمة اساسا للحضارة اليونانية، بيت الحكمة، الطبعة الاولى، بغداد، 2003، ص 5.
- 12 - ديرينجر، الكتابة، ترجمة وتعليق عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، 2001، ص 38.
- 13 - مدينة سوسة، وتسمى في العهد القديم شوشن، وتقع في جنوب غرب ايران كانت تحتل موقعا على طرق تجارية مهمة تربط الشرق بالغرب كما كانت نهاية الطريق الملكي من ساردس الليدية، ويرجع تاريخ اقدم المستويات التي كشفت فيها الى الالف الرابع قبل الميلاد. ينظر، كلين دانيال، موسوعة، ج 2، المصدر السابق، ص 341.
- 14 - جمدة نصر، يقع تل جمدة نصر في شمال شرقي كيش على بعد 42 كيلومترا منها، تحرت فيه بعثة امريكية عام 1928، ويقدر تاريخ هذا الدور من (3100 - 2900) ق.م، ينظر، فرج بصمه جي، كنوز المتحف العراقي، وزارة الاعلام، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1972، ص 20.
- 15 - مدينة ايبلا (تل مردوخ)، تقع هذه المدينة على بعد 55 كم جنوب غرب حلب، في عام 1964 - 1979 أول من نُقِبَ في هذا التل البعثة الايطالية. ينظر، بيهجة خليل اسماعيل، حضارة العراق، ج 1، مصدر سابق، ص 237 كذلك، كلين دانيال، موسوعة، ج 1، مصدر سابق، ص 209.
- 16 - راس شمرا، المستوطن الكنعاني القديم المسمى 'اوغاريت' بالقرب من اللاذقية، ينظر، طه باقر، مقدمة...، المصدر سابق، ص 33، وهي مدينة سورية قديمة اظهرها الفرنسيون في 1929، وترجع المستويات المبكرة الى العصور الحجرية الجديدة المبكرة، ينظر، كلين دانيال، موسوعة، مصدر سابق، ص 91.

- 17 - فاضل عبدالواحد، العراق في موكب...، مصدر سابق، ص 192 - 193.
- 18 - تقع مدينة ماري المتمثلة اليوم بتل الحريري على نهر الفرات بالقرب من البوكمال، وقد اظهرت التنقيبات التي قام بها الفرنسيون منذ عام 1933 مدينة مسورة واسعة تعود لعصر فجر السلاسل الاولى مع قصر كبير ومعابد غنية بالمنحوتات. ينظر، كلين دانيال، موسوعة، ج 2، مصدر سابق، ص 503.
- 19 - بوغازكوي، الموقع الاناضولي للعاصمة الحديثة هاتوساس نخب فيها الالمان بصورة متقطعة من 1906، ويعود الاستيطان الاصلي على تل بويوكال، الى العصور الحجرية المعدنية كما اقيم مركز تجاري هناك في العصور الاشورية القديمة (بداية الالف الثاني ق.م)، وقد بني قصر تحت حكم الحثيين. ينظر، كلين دانيال، موسوعة، ج 1، مصدر سابق، ص 134.
- 20 - سلطان تبه، وهو احد التلول الاثرية المنتشرة في منطقة حران القديمة في اعالي نهر البليخ (البليخ)، ينظر، طه باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، سنة 1976م، ص 18.
- 21 - فاضل عبدالواحد، العراق في موكب...، مصدر سابق، ص 198.
- 22 - فاضل عبدالواحد، العراق في موكب...، مصدر سابق، ص 197 - 198. علما بان تل العمارة يعتبر عاصمة جديدة لاختاتون في موقع بكر يدعى الان تل العمارة، ينظر، كلين دانيال، موسوعة، ج 1، مصدر سابق، ص 28.
- 23 - طه باقر، ملحمة كلكاش، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد 1975، ص 20.
- 24 تجدر الاشارة الى ان كسرة رقيم جديدة من اللوح الخامس للملحمة نفسها محفوظة، الآن في متحف السليمانية، وقد تمكن عالم المساريات فاروق الراوي بقرائنها وترجمتها وقد اشار اليها في اعمال اللقاء الدولي حول الاثار العراقية - اكتشافات حديثة ومشروع جديدة، اربيل - العراق للفترة من 31 اكتوبر الى 2 نوفمبر 2011، والذي نظمه المعهد الفرنسي للشرق الادنى - قسم العراق.
- 25 - فاضل عبدالواحد، العراق في موكب...، مصدر سابق، ص 198.
- 26 - نفس المصدر والصفحة.
- p.89، 1962، The Greek Myths، - Robert Graves72
- 28 - طه باقر، ملحمة كلكاش، مصدر سابق، ص 27 - 28.
- 29 - نفس المصدر والصفحة.
- 30 - فاضل عبدالواحد، العراق في موكب...، مصدر سابق، ص 200.
- 31 - بكري شيخ امين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، 2004، ص 223.
- 32 - سمير كاظم الخليل وآخرون، الادب والنصوص، ط 3، مطبعة أساور، بغداد، 2011، ص 96.
- 33 - نفس المصدر والصفحة.
- 34 - سعيد عطية علي مطاوع، الاعجاز القصصي في القرآن، دار الافاق العربية، الطبعة الاولى، القاهرة، 2006م، ص 23.
- 35 - سعيد عطية، الاعجاز القصصي في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 23.
- 36 - محمد قطب عبدالعال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، الطبعة الثانية، طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م، ص 333.
- 37 - سعيد عطية، الاعجاز القصصي في القرآن، مصدر سابق، ص 119 - 120.
- 38 - المصدر السابق، ص 120.
- 39 - بكري شيخ امين، التعبير الفني في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 226.
- 40 - المصدر نفسه، ص 227.
- 41 - محمد قطب عبدالعال، من جماليات التصوير، مصدر سابق، ص 334 - 335.
- 42 - محمد قطب، منهج الفن الاسلامي، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، 2006م، ص 156.
- 43 - محمد قطب، منهج الفن الاسلامي، مصدر سابق، ص 157.

44. طه باقر، ملحمة كلكامش، مصدر سابق، ص 9. ومن الجدير بالذكر حول تاريخ ظهور أولى النصوص الأدبية في حضارات الأمم والشعوب القديمة، أن الأدب المصري القديم لم يظهر إلا بعد انتهاء عصر الأهرام (الألف الثالث قبل الميلاد)، وأقدم أدب كنعاني يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، والأدب العبراني الذي دونت التوراة الكثير منه لم يتعدى كثيرا منتصف الألف الأول قبل الميلاد (القرن السادس والخامس)، بينما يعود تاريخ قدم كل من الأدب اليوناني الذي دونته الإغريق (اللياذة والأوديسة لهوميروس) والأدب الهندي القديم (رج - فيدا)، وأقدم أدب إيراني (أفستا)، إلى بداية ومنتصف الألف الأول قبل الميلاد، أي أن أدب بلاد الرافدين سبق جميع آداب شعوب الحضارات القديمة بألف عام تقريبا، ولمعرفة المزيد عن قدم أدب بلاد الرافدين ينظر،

Kramer S N, Sumerian Mythology, A Study of Spiritual and Literary Achievement the Third Millennium B.C, New York, 1961.

45- العهد القديم، هو كتاب اليهود المقدس ويضم تسعة وثلاثين سفرا، ويسمى العهد القديم عند الكتاب العرب تجاوزا بالتوراة في حين أن التوراة أصلا تدل على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم فقط، للمزيد ينظر، أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة السامرية-العبرانية-اليونانية، دار الجيل، بيروت، 1995، ص ص 26، 30.

46- أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط5، بغداد 1981، ص 555.

47- المصدر نفسه، ص 408.

48- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (701-704هـ)، قصص الأنبياء، بغداد، ص 84، 85.

49- عامر سليمان، من القرآن الكريم إلى النصوص المسمارية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 45، ج 1، بغداد 1998، ص 42.

50- عامر سليمان، من القرآن الكريم إلى النصوص المسمارية، مصدر سابق، ص 44.

51- ريان، وليم وويتمان، والتر، طوفان نوح-الاكتشافات العلمية الحديثة بخصوص الحدث الذي غير التاريخ، مطبعة النهار الجديد، بغداد، 2005.

52- محمد فهد القيسي، قصص الخليقة في العراق القديم بين المعطيات المسمارية والكتاب المقدس والقرآن الكريم-دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية بجامعة واسط، لسنة 2006م. ص ص 90- 91.

53- عامر سليمان، من القرآن الكريم....، مصدر سابق، ص 36- 37.

54- أحمد دبش، عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الاصول، خطوات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق 2007، ص 64.

55- سورة هود، الآية 25- 26.

56- الامام الجاحظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم تحقيق، عبدالرزاق المهدي، المجلد الثالث، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 2008م، ص 530.

57- سورة نوح، الآية 1.

58- تجدر الإشارة إلى قصة الطوفان قد وصل صداها وسردها القصصي إلى اصقاع بعيدة في قصص واساطير شعوب تسكن في مناطق جنوب أفريقيا، مع اختلاف الاسماء وتشابه في الاحداث، للمزيد من المعلومات حول قصة الطوفان في الاساطير والقصص في حضارة شعوب أفريقية القديمة وعلاقتها بقصة الطوفان في بلاد الرافدين، ينظر، قصي منصور عبد الكريم التركي، مصدر سابق، ص 25 وما بعدها.

59- أحمد دبش، عورة نوح، مصدر سابق، ص 26.

60- عامر سليمان، من القرآن الكريم....، مصدر سابق، ص 46.

61- تقع خرائب مدينة نمر (نيبور - نمر) المتراكمة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الاقدم وعلى الضفة الشرقية من شط النيل القديم ويستبان مما هو ثابت ان المدينة كانت سيدة سهل شنعار (سومر) بأسره من الوجهة الدينية من سالف الزمن حتى احتلال الفرس، ينظر، دروئي مكاي، مدن العراق القديمة، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني، الطبعة الثالثة، مطبعة شفيق، بغداد، 1961، ص 57.

62- طه باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، مصدر سابق، ص 174.

63- حكمت بشير الاسود، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت (16)، بغداد 2010، ص 197.

64- فاضل عبدالواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية، مطبعة الاخلاص، بغداد 1975، ص 23.

65- سامي سعيد الاحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، مطبعة الجامعة، بغداد 1975، ص 145.

- 66 - فضيلة عبدالرحيم حسين حسن ، فكرة الاسطورة وكتابة التاريخ، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد 2003، ص43.
- 67 - طه باقر، مقدمة في ادب...، مصدر سابق، ص174.
- 68 - طه باقر، مقدمة في ادب...، مصدر سابق، ص54.
- 69 - Millord A R ، The Sign of The Flood ، Iraq، Vol. XLIX ، 1987 ، P.63 .
- 70 - عامر سليمان، من القرآن الكريم...، مصدر سابق، ص57.
- 71-المصدر نفسه والصفحة.
- ذراع، وحدة لقياس الاطوال تلفظ في اللغة السومرية (KUS) وبالاكدية (ammatu)، وان الاطوال لم تكن ثابتة في جميع الادوار التاريخية، لذلك نذكر بان الذراع في العصر السومري القديم (2700 - 2340 ق.م) كان يساوي احيانا عشرين اصبعاً، وحيانا اخرى ثلاثين اصبعاً، ولكن بالوقت الحالي يعادل 50سم او 5.49سم. ينظر، فوزي رشيد، الشرائع، مصدر سابق، ص36- 37.
- 72 - ايكر، هو وحدة المكييل تلفظ بالسومرية (GUR) وبالاكدية (kurru)، وان مقياس الكور قد خضع لتغيرات عديدة، ولكن بالوقت الحالي يعادل ذلك المقياس 6,252 لتر. ينظر، فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ط1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979، ص38.
- 73 - ذراع، وحدة لقياس الاطوال تلفظ في اللغة السومرية (KUS) وبالاكدية (ammatu)، وان الاطوال لم تكن ثابتة في جميع الادوار التاريخية، لذلك نذكر بان الذراع في العصر السومري القديم (2700 - 2340 ق.م) كان يساوي احيانا عشرين اصبعاً، وحيانا اخرى ثلاثين اصبعاً، ولكن بالوقت الحالي يعادل 50سم او 5.49سم. ينظر، فوزي رشيد، الشرائع، مصدر سابق، ص36- 37.
- 74 - سار، وحدة لقياس المساحات تلفظ في اللغة السومرية (SAR) وفي الاكدية (musaru) ويعادل هذا المقياس في الوقت الحالي 36م². ينظر، فوزي رشيد، الشرائع، مصدر سابق، ص35.
- 75 - Pritchard J, Ancient Near Eastern Texts, New Jersey, 1969, p. 93.
- 76 - Ibid, p. 93.
- 77 - فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع، مصدر سابق، ص77.
- 78 - عامر سليمان، من القرآن الكريم الى...، مصدر سابق، ص58.
- 79-المصدر نفسه، ص58- 59.
- 80 - سامي سعيد، السومريون وتراثهم، مصدر سابق، ص145.
- 81 - فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع المسمارية، مصدر سابق، ص23.
- 82 - ورد اسم هذا الجبل في حوليات الملك (اشوربانيبال) التي حددت موقعه في جنوب نهر الزاب الاسفل احد روافد نهر دجلة. ينظر، فضيلة عبدالرحيم، فكرة الاسطورة، مصدر سابق، ص45.
- 83 - فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع المسمارية، مصدر سابق، ص24.
- 84 -المصدر نفسه، ص198. علما ان "دلمون" (Dilmun) هي الاسم السومري للبحرين، وقد اظهرت التنقيبات الدانمركية التي اجريت مؤخرا ان الجزيرة كانت مركزا تجاريا مهما خلال الالف الثالث ق.م، وتذكرها النصوص عن الحديث عن التجارة مع "مكان" و"ميلوخا"، ينظر، قصي منصور التركي، الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الالف الثالث قبل الميلاد، دار صفحات للنشر، دمشق، 2008، ص62.
- 85 - حكمت بشير، الرموز الفكرية، مصدر سابق، ص210.
- 86 -المصدر نفسه، ص211.
- 87 - هارون يحيى، الامم البائدة، الطبعة الاولى، ترجمة ميسون نحلاوي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 2004، ص31.
- 88 - Watelin L Ch، Excavation at Kish, Vol. IV, 1934, 1945,p.2-3
- نقلا عن حكمت بشير، الرموز الفكرية، مصدر سابق، ص211- 212.
- 89 - هارون يحيى، الامم البائدة، مصدر سابق، ص31.
- 90 - حكمت بشير، الرموز الفكرية، مصدر سابق، ص212.
- 91 - فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع، مصدر سابق، ص28- 29.

- 92 - هارون يحيى، الامم البائدة، مصدر سابق، ص28- 29.
- 93 - فاضل عبدالواحد علي، سومر اسطورة وملحمة، الطبعة الاولى، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق 1999، ص167.
- 94 - هارون يحيى، الامم البائدة، مصدر سابق، ص36- 37.
- 95 - فاضل عبدالواحد، من الواح سومر...، مصدر سابق، ص272- 273.
- 96 - المصدر نفسه، ص93.
- 97 - نائل حنون، ملحمة جلجامش - ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي، الطبعة الاولى، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص225.
- 98 - طه باقر، مقدمة في ادب، مصدر سابق، ص122-124.
- 99 - فاضل عبدالواحد، من الواح سومر...، مصدر سابق، ص275.
- 100 - ستيفاني م دالي، اساطير من بلاد النهرين (الخليقة، الطوفان، كلكامش وغيرها) ترجمة، نجوى نصر، دار بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت، 1997م، ص21.
- 101 - فاضل عبدالواحد علي، سومر اسطورة وملحمة، مصدر سابق، ص166.
- 102 - احمد دبش، عورة نوح، المصدر السابق، ص38.
- 103 - فاضل عبدالواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية، مصدر سابق، ص37- 38.
- 104 - عامر سليمان، من القرآن الكريم الى...، مصدر سابق، ص58.
- 105 - هارون يحيى، الامم البائدة، مصدر سابق، ص73.
- 106 - قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، طوفان نوح بين الحقيقة والاهام، الطبعة الاولى، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق 2009، ص42.
- 107 - سورة هود، الايات 37- 39.
- 108 - تجد الاشارة الى ان صناعة الفلك من قبل سيدنا نوح قد ورد فيه تفصيل لمراحل البناء في كتاب العهد القديم ، مانصه ،
 'اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر، تجعل الفلك مساكن، وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. وهكذا تصنعه ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه، وثلاثين ذراعا ارتفاعه وتصنع كوامن للفلك وتكمله الى حد ذراع من فوق وتضع باب الفلك من جانبه، مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله"،
 ينظر، سفر التكوين، 6، 13- 16.
- 109 - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، مصدر سابق، ص1877.
- 110 - سورة هود، الاية 40.
- 111 - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، مصدر سابق، ص1877.
- 112 - سورة المؤمنون، الاية 27.
- 113 - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، مصدر سابق، ص2465.
- 114 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج3، مصدر سابق، ص534.
- 115 - سورة القمر، الاية 11- 12.
- 116 - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، مصدر سابق، ص2430.
- 117 - سورة هود، الاية 41- 42.
- 118 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج3، مصدر سابق، ص535- 536.
- 119 - سورة هود، الاية 44.
- 120 - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، مصدر سابق، ص1879. علما وان الجودي جبل معروف بارض الجزيرة استوت عليه سفينة سيدنا نوح وتقرأ بتخفيف الياء. ينظر، محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الاولى، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1967م، ص94.
- 121 - سورة الحجر، آية: 9